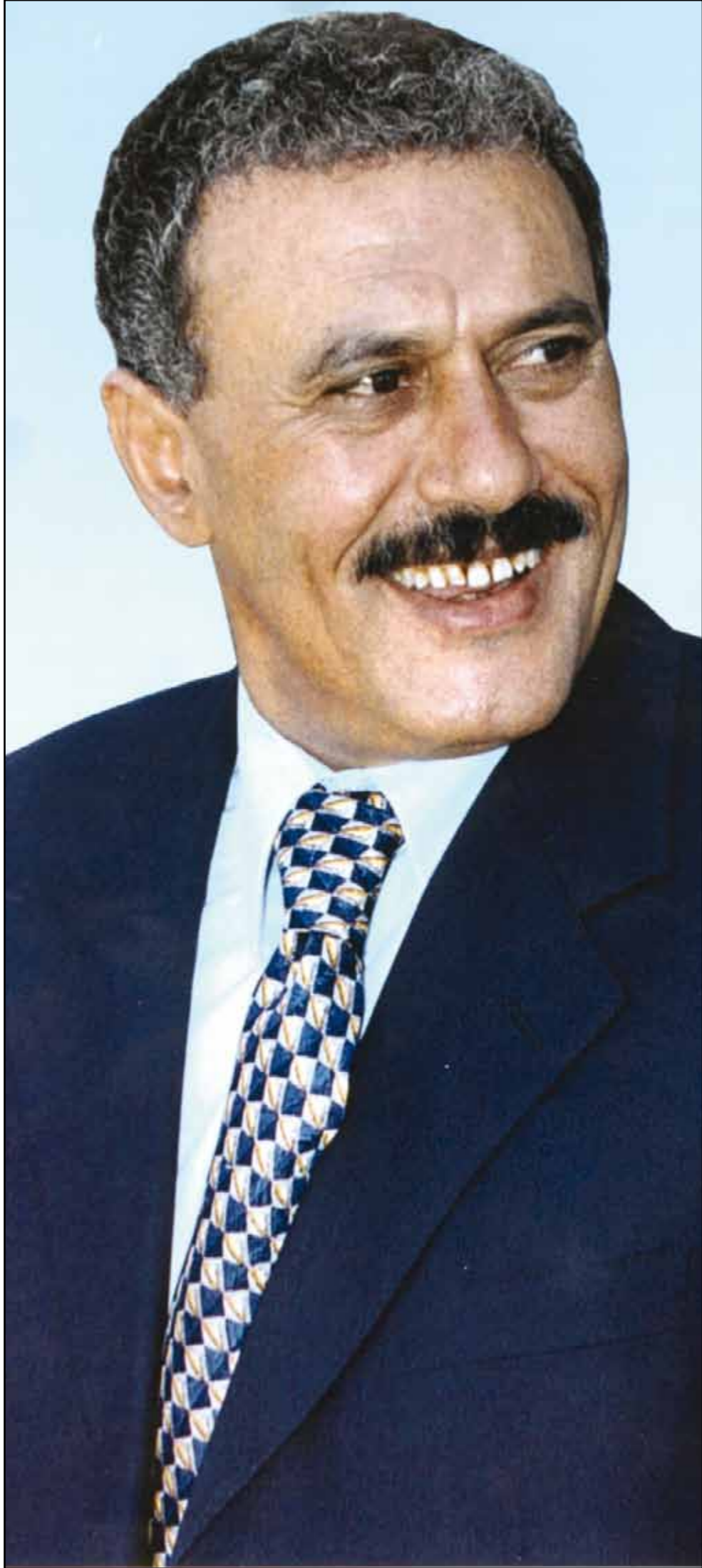


علي عبدالله صالح

إرث لا تخطئه عين



الحديث عن تاريخ علي عبدالله صالح ومنجزاته كزعيم وسياسي حكم اليمن لثلاثة عقود من الزمن أمر متروك للمختصين بتدوين تاريخ اليمن المعاصر الذي لا يشك احد بأنه سيسجل للرجل ما حققه من منجزات عظيمة باعتبارها جزءاً من تاريخ بلاد كان ولا يزال علي عبدالله صالح يلعب الدور الأبرز في صناعة التحولات الايجابية فيه .

عبد الملك الفهيد



تسليم الزعيم السلطة سلمياً للرئيس هادي حدث سجله التاريخ بأحرف من نور

تأسيس المؤتمر الشعبي العام أنهى الخوف من الحزبية المحرمة

الزعيم حقق الشراكة الوطنية ورفض الإقصاء والتهميش

رئيس المؤتمر أحدث نهضة تعليمية أزلت كل آثار الماضي الإمامي

مشروعه السياسي ترسخ في اليمن وجسد مبدأ الشعب مالك السلطة

الخلافات مع الجيران عبر الحوار فعمل على إنهاء مشاكل الحدود بين اليمن وجيرانه عبر مبدأ التفاهة والحوار وعلى قاعدة لا ضرر ولا ضرار، فتم ترسيم الحدود اليمنية السعودية، بالحدود اليمنية العمانية. وكذا الحدود اليمنية البحرية مع اريتريا بعد احتلالها لجزيرة حنيش وإصرار علي عبدالله صالح على حل تلك الأزمات عبر التحكيم الدولي الذي حقق لليمن انتصاراً تاريخياً وأكد سيادته وحقه في تلك الجزر. ورغم كل ما ذكر أنفاً إلا أن الأهم هو أن علي عبدالله صالح كان الرئيس اليمني الوحيد الذي استطاع أن يحقق لليمن استقلالية قراره الوطني والسياسي منذ ثمانينيات القرن الماضي، بحيث أصبح ذلك القرار معبراً عن مصالح وطموحات ومواقف الشعب اليمني بعيداً عن أي تدخلات خارجية.

ويمثل إصرار علي عبدالله صالح على تحقيق مبدأ نقل السلطة سلمياً وديمقراطياً عبر الرجوع إلى الشعب في انتخاب رئيس جديد، وتسليم السلطة سلمياً إلى خلفه عقب أزمة العام 2011م أهم إنجاز اختتم به علي عبدالله صالح عمود حكمه الثلاثة لليمن. مرشحاً بذلك مبدأ نقل السلطة عن الفكر السياسي اليمني لعقود طويلة. موقفاً بذلك تجربة هي الأولى من نوعها في المنطقة، حيث كان مشهد علي عبدالله صالح وهو يسلم السلطة إلى خلفه عبدياً منصور هادي في فبراير من العام 2012م أمام مرآة العالم حدثاً تاريخياً سيسجل بأحرف من نور في تاريخ اليمن المعاصر وتاريخ علي عبدالله صالح الوطني والسياسي.

وختاماً يمكن القول إن علي عبدالله صالح حتى وبعد أن سلم السلطة فإنه لا يزال في قلب المعترك وفي عمق المشهد الوطني من خلال المؤتمر الشعبي العام وما يمارسه اليوم من نضال وطني وما يقدمه من رؤى ومواقف ومشاريع قائمة على الحرص على الوحدة اليمنية، وبناء اقتصاد وطني قوي، وحماية المكاسب والمنجزات الوطنية التي تحققت على مدى ثلاثة وثلاثين عاماً مضت من تاريخ اليمن .

ولم يقف الأمر عند ذلك فقد شهد عهد علي عبدالله صالح في حكم اليمن ولأول مرة منح المرأة حقوقها في مختلف المجالات وفي المقدمة حقها في المشاركة في الحياة السياسية. فأصبحت المرأة تتبوأ مناصب في مختلف مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية وأضحت برلمانية ووزيرة وسفيرة وانخرطت مساهمة في بناء الوطن في مختلف المجالات .

ومضى علي عبدالله صالح في استكمال مصفوفة مشروعه السياسي في بناء الوطن عبر تعزيز وتأسيس دستوري وقانوني ضامن لحقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير والصحافة وإتاحة المجال أمام منظمات المجتمع المدني في عملية البناء، والمشاركة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية والتنمية وشهدت حرية التعبير والصحافة وعمل منظمات المجتمع المدني تطوراً غير مسبوق في عهد علي عبدالله صالح الذي ظل يؤكد أن حماية الديمقراطية لا يكون إلا بمزيد من الديمقراطية وإتاحة المجال للناس للتعبير عن آرائهم وتوجهاتهم وممارسة حقوقهم في النقد للسلطة .

ولم يكن سعي علي عبدالله صالح الدؤوب والمثابر لإعادة تحقيق وحدة الوطن وإنهاء سنوات من التشظير والبيض والصراعات الدموية عبر استكمال مسار الحوارات والحوادثية وتقديم التنازلات، وصولاً إلى إعادة تحقيق الوحدة اليمنية في 22 مايو 1990م. بسوى تنويع لمشروعه السياسي ومنجزاته ليحقق لليمنيين أعظم أهداف ثورتهم لمشاركة سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر. جماعته ذلك من إعادة اليمن حضارة ودولة وشعب إلى المسار الطبيعي للتاريخ والجغرافيا. فأصبحت الوحدة اليمنية نقطة مضيئة في سماء الأمة العربية التي شعرت بإمكانية تحقيق حلمها في الاتحاد انطلاقاً من عهد العرب الأول اليمن. فضلاً عما مثله ذلك من أن يصبح لليمن الموحد ثقله الجيوسياسي والأمني في المنطقة والعالم.

ولأن الوحدة اليمنية التي كان لعلي عبدالله صالح شرف إعادة تحقيقها إلى جانب شركائه في الحزب الاشتراكي اليمني مثلت عاملاً أمن واستقرار للمنطقة فقد عمد علي عبدالله صالح إلى تقديم تجربة جديدة في حل

وعمل على إنشاء المدارس والجامعات في كل ربوع الوطن سواء قبل إعادة تحقيق الوحدة أو بعدها. وأصبح التعليم الأساسي مجاناً والإامياً وحقاً إنسانياً لكل مواطن اليمن لتبدأ بذلك صورة النهضة الحقيقية للوطن في التبلور بشكل كامل. وأضحى اليمنيون جزءاً من قاموس المعرفة الإنسانية والبشرية أسوة بأقرانهم من بني البشر في كل بقاع الأرض .

وبعقلية السياسي المنفتح وحكمة القيادي ورجل الدولة ذهب علي عبدالله صالح ليرسخ مشروعه السياسي في بناء اليمن عبر العمل على تجسيد مبدأ الشعب مالك السلطة ومصدرها فعمل على إشراك الشعب في صناعة واتخاذ القرار واختيار من يمثله في الحكم سواء أكان ذلك عبر الحوار الوطني وإشراك مختلف القوى السياسية والإفكار المتباينة والرؤى المتنوعة في صياغة الميثاق الوطني وتأسيس المؤتمر الشعبي العام-في شمال الوطن سابقاً- كإطار سياسي يمني جامع لكل القوى السياسية التي كانت تمارس عملها في إطار أقبية السرية. محتويماً بذلك المختلفين، ومنهياً بذلك الخوف من الحزبية المحرمة، ومجسداً بذلك مبدأ الشراكة الوطنية، والقبول بالآخر ورفض الإقصاء والتهميش. قبل أن يمد مشروعه ذلك إلى البدء في تكوين المؤسسات الديمقراطية البرلمانية والشورية التي بدأت في شمال الوطن بانتخاب مجلس الشورى العام 88م ليمتد بعد إعادة تحقيق الوحدة اليمنية إلى انتاج نظام التعددية السياسية والحزبية والنظام الديمقراطي القائم على انتخاب الشعب لحكامه وممثليه في البرلمان فتكون أول مجلس نواب منتخب لليمن الموحد عام 93م. ثم تكون مجلس شورى كعقوداً تشريعية أخرى، واللتان مثلتا مؤسستين رقابيتين على أداء الحكومة وعملها، وصولاً إلى أحداث تعديلات دستورية تم بموجبها انتخاب رئيس الدولة من قبل الشعب في انتخابات تنافسية كانت أولها العام 99م والثانية عام 2006م مروراً بالتأصيل الدستوري والقانوني للحكم المحلي ومنح الشعب المزيد من الصلاحيات في انتخاب ممثليه عبر المجالس المحلية ثم بانتخابات محافظي المحافظات التي مثلت أول تجربة من نوعها في المنطقة العربية .

لكن ما نحن يصدهد هنا هو الحديث عن المشروع السياسي الذي حملته علي عبدالله صالح وهو في ريعان شبابه حين جاء، إلى سدة الحكم فيما كان يعرف في شمال اليمن أواخر سبعينيات القرن العشرين المنصرم .

ففي منتصف العام 78م كان الشباب علي عبدالله صالح يحمل في أعماقه وعلى عاتقه احتياجات الوطن الذي رأى يجتر آثار الإمامة ومسألونا فجاء هذا الشباب وانغمس بأعماقه وتفكيره وضميره وجهوده في بناء الوطن مساهماً في صناعة أمنه واستقراره الذي ظل رهيناً للحروب والصراعات منذ تفجر ثورته المباركة 26 سبتمبر 1962 م و 14 أكتوبر 1963 م و 30 نوفمبر 1967 م .

ورغم أن علي عبدالله صالح حين تقلد السلطة في شمال الوطن-سابقاً- كان لا يزال شاباً ينظر إليه بلا خبرة سياسية كافية إلا أنه نجح في إثبات العكس من ذلك تماماً وأدرك بنظرة ثاقبة أن بناء الدولة يبدأ من تحقيق الأمن والاستقرار. بوان تحقيق ذلك مرهون بجيش قوي يستطيع فرض هيبة الدولة وسلطتها على كل شبر فيها . فعمل وهو -ابن المؤسسة العسكرية- على بناء مؤسسة عسكرية وطنية ظل يوليها كل اهتمامه على مدى ثلاثة عقود ونيف من الزمن تمكنت خلالها اليمن من تكوين مؤسسة القوات المسلحة والأمن بمكوناتها الرئسية الثلاث البرية والبحرية والجوية، وأضحت هي الحامي لحدود الوطن والحارس لمنجزاته ومكتسباته. وأثبتت بذلك الرؤية السياسية الثاقبة لعلي عبدالله صالح منذ اليوم الأول لتحمله مسؤولية وطن وأمانة أمة .

ولأن علي عبدالله صالح جاء من أنقى الشرائح الاجتماعية في اليمن وهي شريحة الفلاحين كما قال شاعر اليمن وأديبها الراحل عبدالله البردوني فقد ارتبط فكره ورؤيته بالجانب الحضاري لشعب تمتد جذوره الحضارية لأكثر من ثلاثة آلاف عام. فعمل بكل جهده وبمساعدة من القائد العربي الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات-رحمه الله- على إعادة بناء سد مارب بما مثله ذلك من استحضار لآثار التاريخ الوطني وإعادة إحياء الشخصية الوطنية للإنسان اليمني الذي ارتبط وجوده وحضارته في التاريخ السبني القديم على الماء والزراعة التي وصفها القرآن الكريم بقوله تعالي: «لقد كان لئسناً في فسكهم أية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم وأشكروا له بلذة طيبة ورزق غفور» صدق الله العظيم .

ولأن علي عبدالله صالح كان يبجل مشروعه السياسي في الحكم على قواعد التكامل فقد أدرك أن بناء سد مارب وما يمثله من استحضار لتاريخ الإنسان اليمني ، لم يكن كافياً فعمد إلى الربط بين الماضي والحاضر فاتجه نحو بناء الاقتصاد الوطني من خلال العمل على استخراج النفط من ذات المحافظة التي أعاد فيها بناء سد مارب ليشكل ذلك صورة للمزج بين الزراعة كمقوم اقتصادي وأساس تاريخي للإنسان اليمني وبين النفط كمنتج اقتصادي مستقبلي للمضي في عملية التنمية البشرية والاقتصادية للوطن .

على عبدالله صالح لم يكتف بذلك بل أدرك أن بناء الإنسان هو الثروة الأساسية في نهضة أي وطن. فأتجه لإحداث نهضة تعليمية استطاعت أن تزيل كل آثار وأسابيل الماضي الإمامي الكهنوتي الذي حكم الناس بالجهل